ألا تبايعون رسول الله؟

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٢ ذو القعدة ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ممّا يدل على عظم الأمر في ديننا: مبايعة رسول الله ﷺ عليه، ومن ذلك -يا عباد الله- ما ثبت في صحيح مسلم عن عوف بن مالك ﷺ، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال ﷺ: **«ألا تبايعون رسول الله؟»** وكنّا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: **«ألا تبايعون رسول الله؟»** فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: **«ألا تبايعون رسول الله؟»** قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلامَ نبايعك؟ قال: **«على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا»** -وأسرّ كلمةً خفيّة- **«ولا تسألوا الناس شيئًا»**، قال عوف ﷺ: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه.

الله أكبر يا عباد الله! أربعة أمور اهتم بها رسولنا ﷺ، واعتنى بها عناية فائقة حتى بايع عليها بيعة خاصة بعد البيعة العامة.

أولها: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا».

وهذا أعظم فرض على الإطلاق، وأول فرض على المسلم، وكل الفروض تتبعه، أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئًا، اعتقادًا وعملاً، فيجب عليك أن تعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا معبود بحقّ إلا الله ﷻ، كما يجب عليك أن تعتقد اعتقادًا جازمًا أنه لا يوجد أحد يستحق العبادة من دون الله ﷻ، فيجب النفي والإثبات، إثبات العبادة لله وحده وأنه مستحق للعبادة وحده، ونفي استحقاق مخلوق – مهما عظم– للعبادة من دون الله ﷻ، وأن تعمل بذلك فلا تصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، فكل ما ثبت أنه عبادة لا تجعله إلا لله ﷻ.

ومن أجل هذا خُلقت أيها الإنسان، بل وخُلق كذلك الجانّ، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، وبهذا بعث الله الرسل جميعًا، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وبه أُمر المسلم في القرآن، وكان أول أمر في القرآن بترتيب المصحف الأمر بعبادة الله ﷻ، حيث قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

أمر الله ﷻ الناس جميعًا بعبادة ربهم ﷻ، وقصر العبادة على نفسه ﷻ، وأقام البرهان البيّن على ذلك، فإنّ الله ﷻ هو ربّكم الذي أوجدكم من العدم وربّاكم بالنعم، فهو الذي خلقكم والذين من قبلكم، فكل مخلوق إنّما خلقه الله ﷻ ﷻ، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﷻ، ولو أن المخلوقات كلّها، الإنس والجن، صالحهم وطالحهم، والملائكة والجمادات، والشمس والقمر وسائر المخلوقات، اجتمعت في أمر واحد لَما استطاعت أن تخلق شيئًا ولو كان شيئًا حقيرًا، لَما استطاعت أن تخلق شيئًا ولو كان ذبابًا، فكيف يستحق مخلوق أن يُعبد من دون الله ﷻ، مهما علا شرفه، ومهما عظم فضله؟ والله لا يستحق العبادة إلا الله ﷻ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَشًا﴾: فمهّدها لكم، وأرساها بالجبال، وجعل السماء بناءً، وجعلها سقفًا مرفوعًا مُزيّنًا محفوظًا، ورزقكم فأنزل لكم من السماء ماءً طيّبًا طهورًا مباركًا تتطهّرون به، وأخرج لكم به الرزق، ولا يستطيع مخلوق أن يفعل شيئًا من ذلك.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فإن أعظم الذنوب وأعظم الظلم أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك ﷻ.

فيا عبد الله، وحّد الله في العبادة، وإياك أن تعتقد أن مخلوقًا يستحقّ أن يُصرف له أدنى شيء من العبادة، وإياك ثم إياك أن تصرف شيئًا من عبادتك -من دعائك، من استغاثتك، من صلاتك- إلى مخلوق من المخلوقات، فإياك أن تصرف شيئا من العبادة مهما قل لمخلوق من المخلوقات.

وأما الأمر الثاني: فالصلوات الخمس.

الله أكبر يا عبد الله! الله أكبر يا عبد الله! حبيبك ورسولك ﷺ يبايع بيعةً خاصةً على الصلوات الخمس، فكيف تطيب نفسك أن تضيّع شيئًا من هذه الصلوات الخمس؟! الله أكبر يا عبد الله! الصلوات الخمس كان آخر كلام رسول الله ﷺ في الدنيا الأمر بها، فكان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»، فكيف يطيب قلبك أن تضيّع شيئًا من الصلوات الخمس أو من حقوقها؟!

الله أكبر يا عبد الله! الصلوات الخمس من أركان الإسلام وهي خير الأعمال، كما قال النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

فقل لي -يا عبد الله- كيف يطيب قلب مؤمن آمن بالله ربًّا وبمحمد ﷺ رسولاً نبيًّا بعد أن سمع هذا أن يفرّط في شيء من الصلوات الخمس، أو أن يتعمّد أن ينام عن شيء من الصلوات الخمس، أو أن يُضَيِّع حقًّا من حقوق الصلوات الخمس؟!

وأما الأمر الثالث: «وتطيعوا».

السمع والطاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ فرض على المؤمن، وفيها حياته، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

[الأنفال:٢٠-٢١]، أمركم ربّكم بهذا الفرض العظيم، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَـٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد:٣٣]، وبيّن لكم سبحانه أن في هذا حياتكم الحقيقية، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال:٢٤].

ومن طاعة الله ورسوله ﷺ طاعة من جاءت النصوص بطاعتهم من المخلوقين، كولاة أمور المسلمين، في غير معصية الله، كما قال ربنا سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، وكما قال حبيبنا وقرّة أعيننا ونبيّنا ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وقال ﷺ: «السمع والطاعة حقٌّ ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

ألا فاتقوا الله عباد الله، واعتنوا بما اعتنى به رسول الله ﷺ لعلّكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن الأمر الرابع الذي اعتنى به رسولنا ﷺ جاء في قوله: «وألا تسألوا الناس شيئًا».

المطلوب من المسلم -يا عباد الله- أن يكون كريم النفس متعلّقًا بالله عز وجل، ومن ذلك أن يترفّع عن سؤال المخلوقين، ويسعى في اكتساب المال بعمله.

وإن سؤال المخلوق ما يقدر عليه الأصل فيه أن الأفضل تركه، وأن الأفضل للمؤمن أن يجتنب سؤال الناس شيئًا ولو أن يعان على رفع شيء أو نحو ذلك، ما كان مستغنيًا عن الناس، فإن كان ولا بدّ فلا حرج في ذلك.

فالأصل أن الأفضل للمؤمن أن يعمل عمله بنفسه، ولا يسأل الناس شيئًا، فإن سأل المخلوق ما يقدر عليه فإنه لا يكون فاعلاً حرامًا إلا في سؤال الناس أموالهم، فإن الأصل في سؤال الناس أموالهم أنه حرام، إلا ما استثناه رسول الله ﷺ، وهو: أن يسأل المسلم ولي الأمر شيئًا من مال المسلمين، فهذا

ليس حرامًا، لكنّ الأفضل تركه وألا يسأل المسلم ولي أمر المسلمين شيئًا من المال، فإن جاءه شيء من المال من سلطان المسلمين أخذه و لم يردّه، وهكذا كان يصنع ابن عمر ﷺ.

والأمر الثاني المستثنى: أن يحتاج المسلم فيسأل من أجل الحاجة وبمقدار الحاجة، فهذا جائز لا حرج فيه.

والنبي ﷺ علّمنا وأدّبنا، فكان ﷺ يقول وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفّف عن المسألة: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المُنفقة، والسفلى السائلة».

ورسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه».

وقال ﷺ منبّهًا ومحذّرًا: «لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئًا».

وقال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم».

وقال ﷺ: «من سأل الناس أموالهم تكثّرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقلّ أو ليستكثر».

وقال ﷺ: «إن المسألة كدّ يَكُدّ بها الرجل وجهه»، وهذا معنى أنه يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم، فهو يَكُدّ وجهه بالمسألة، ويُسقط لحم وجهه، حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه قطعة لحم، وإنما هو العظم، ليرى الناس ذلك، ويكون ذلك عيبًا له يوم القيامة، قال ﷺ: «إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لا بد منه».

فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وجعلنا من أهل الكرامة.

فاتقوا الله عباد الله، وامتثلوا ما دلّكم عليه رسول الله ﷺ، واعتنوا بهذه الأمور الأربعة لعناية حبيبكم ونبيّكم ﷺ بهنّ.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله ﷻ أمرنا بأمر عظيم جليل شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ يا ربّنا، شرّف ألسنتنا بكثرة الصلاة والسلام على رسولنا ﷺ.

فاللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ إنّا نسألك رضاك والجنة، اللهمّ إنا نسألك رضاك والجنة، اللهمّ إنّا نسألك رضاك والجنة، اللهمّ فارض عنّا أجمعين، واكتبنا جميعًا من أهل الجنة يا رب العالمين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

اللهمّ من كان منّا محسنًا فتفضّل عليه برضوانك والجنة، ومن كان منّا مسيئًا فتفضّل عليه برضوانك والجنة، وهب المسيئين منّا للمحسنين يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنّا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، ونحن عباد مقصّرون، وبذنوبنا معترفون، لكنّ رجاءنا فيك عظيم، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، واغفر لنا ذنوبنا كلّها يا رب العالمين، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا كلها يا رب العالمين، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا كلها يا رب العالمين.

اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا ولزوجاتنا ولذرياتنا ولجيراننا ولأحبابنا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، مَن جمعتنا بهم في الدنيا فاجمعنا بهم جميعًا في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ لا تجعلنا نفقد أحدًا من أحبابنا، ولا تجعل أحبابنا يفقدوننا يا رب العالمين، اللهمّ أكرمنا جميعًا بالجنة يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وحبيبنا وسلم.